لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّـــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميـــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٣.

Paragraph الفَقْرَة

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٥.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Glorify the Name of your Lord, the Most High, Who has created (everything)**, and then proportioned it; And Who has perfectly measured** (preordainments everything)**; then perfectly guided** (gives him a guidance to be in perfect adaptation with its specific environment and well accommodation by an inherited Behavior)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ارتبط موضوع أصل الحياة والإنسان في تاريخ العلوم بالداروينية نسبة إلى دارون في كتابه "أصل الأنواع" الذي صدر في منتصف القرن التاسع عشر وقال فيه بتطور أنواع الأحياء بآليات افترضها مضمونها الصدفة، وخالفته الكشوف العلمية لاحقا فغير أنصاره الملامح تحت اسم الداروينية الجديدة مع استمرار الحفاظ على مضمون الصدفة، ولكن ثوابت كل فروع العلوم الحديثة كعلم الأحياء Biology وعلم تاريخ الإنسان Anthropology ترفض فلسفة الصدفة في الخلق والعشوائية Chaos في الأحداث لأنها جميعا طريقها اكتشاف النظام Order وإلا ما كان لها أساسا وجود.

وفي قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الأعلى: ١-٣؛ دلالة صريحة على أن كل كائن في الوجود مخلوق ومهيأ بلا علم منه ولا إدراك وموجه بقصد وفق غرائز موروثة للوجهة الصحيحة منذ البدء كي يؤدي وظائفه؛ مُتأقلما مع بيئته بطرق غاية في الإحكام والإتقان تُمكنه من الحفاظ على ذاته وعلى نوعه.

ولو صح جدلا الانتقال التدريجي في نشأة الحياة فلن يكون مصادفةً؛ بل خلق مُقدر رشيد، وكل الآليات المُفترضة كالطفرة والانتخاب الطبيعي تقف عاجزةً مشدوهةً أمام حشرات مُؤَهَّلَةً بذكاء للتخفي عن الأعداء بهيئة أزهار يانعة أو أغصان ذابلة أو أوراق شجر خضراء، فهل حرمت الصدفة سواها من الحيل فبادت ووهبتها وحدها الخداع فسادت، أم هل ألبستها طفرة عابرة تلك الحلل البديعة لتبدو كزهرة وغصن وورقة شجر شكلا ولونا ولم تهمل حتى العروق واللطع والتجاعيد؛ أم أن تلك النوابغ البارعة تقمصت بهيئات استوحتها بدهاء!، أم أنها مصنوعة لتنطق بالتدبير والتوجيه بحكمة منذ الابتداء؛ وأن عناية الله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه تتجلى ساطعةً أمام كل فطين!.

والتبصر في الأسماك والنباتات والحشرات والطيور وحيوانات البر وهي غافلة عنه يعني وجود توجيه وقصد لم تفرضه ضرورة وإنما أملته إرادة عليا تعلم بكل شيء؛ فأعدت للحدث قبل وقوعه وخطت لكل موجود ما يمكنه من أداء ما قدر لها بكفاءة، فأقدام البط تمتلك غشاء منذ خروجه من البيض وليس وليد محاولة العوم، والثدي يمتلئ بلبن سميك Colostrum قبيل ولادة الجنين وكأنه على علم مُسبق بموعد الولادة، والقرآن الكريم يدعو صريحًا إلى تأمل تلك الحقيقة الكامنة وراء كل الخلق: "أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِيءُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمّ اللّهُ يُنشِىءُ النّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" العنكبوت ١٩و٢٠.

وطريق معرفة آلية التنويع هو البحث العلمي لا افتراض الصدفة ابتداء، وتحت ضغط الحقيقة أقرت مصطلحات علمية مبدأ الخلق مثل التصميم الذكي Intelligent Design والكون الذكي Intelligent universe والتطور المُبرمج Programmed Evolution والتطور المُوجه بوعي Rational Directed Evolution وكلها تُفصح عن تنظيم وتوجيه بلا فوضى وإنما تقدير Predestination فتُعلن أن العلم يقود للإيمان، وتنطق بأن التقدير الرشيد بينة على التوحيد، فبدء النشأة وتجددها في الأحياء والوظائف المحددة لكل تركيب خلوي وانسجام كل عضو مع مثيله وتناسب كل زوج مع بيئته ونظيره ذكورا وإناثا من كافة الأنواع والفصائل هو عند النابهين دليل أكيد على الخلق والتوجيه مهما كانت الكيفية، وهذا ما يُعلنه القرآن الكريم بجلاء: "سَبّحِ اسْمَ رَبّكَ الأَعْلَىَ. الّذِي خَلَقَ فَسَوّىَ. وَالّذِي قَدّرَ فَهَدَىَ" الأعلى ١-٣.

نظرة مُتفحصة:

قد أعلن مِندل عن اكتشاف قوانين الوراثة عام ١٨٦٥ فمهد لولادة علم الوراثة Genetics في أوائل القرن العشرين، وقبل نشوء علم الوراثة ومعرفة دور الجينات في الحفاظ على صفات النوع وراثيًا رأي لامارك Lamarck عام ١٨٠٩ أن أفراد الكائنات الحية تنقل السمات التي اكتسبتها في حياتها إلى الأبناء، فالزرافة مثلا تطورت عن طريق إطالة أعناقها شيئاً فشيئاً عندما كانت تحاول الوصول إلى الأغصان الأعلى، ولم يدرك دارون كذلك آلية الحفاظ على توريث صفات النوع وإن تنوعت الأفراد فافترض تغيره ذاتيا صدفة لأسباب خارجية عزاها إلى الطبيعة، ولكنها لا تمتلك إرادة واعية لتقرر ما ينفع وتنسق العمل بين الأعضاء وبين الذكر والأنثى فلا بد إذن من قوة عليا مدبرة، ومن المسلمات عند العقلاء أن البيت المرتب الأثاث لا يبني نفسه وينظم أثاثه ذاتيا وأنه لا بد من إرادة واعية بنته ورتبته، ولكن الفلسفة المادية Materialism أفرزت نظرية التطور عام ١٨٥٩ مخالفة أبسط المسلمات عندما افترضت أن الفوضى Chaos يمكن أن تصنع نظاما وأن الترتيب يوجد ذاتيا صدفة، فجوهرها في تفسير معجزة تنوع الأحياء هو إبداعات الصدفة ولذا من الأولى كشف القناع بتسميتها "نظرية الصدفة"، ولكن أدى اكتشاف تركيب الحمض النووي DNA البالغ التعقيد ليحافظ على سمات أسلاف كل نوع ويورثها للنسل إلى نقض قواعد نظرية دارون من الأساس، ومع ذلك استمر ترويجها مما يعكس غرضا عقائديا أكثر من كونها اهتمامات علمية بحتة.

وتدّعي الداروينية Darwinism أن الحياة بدأت بخلية تكونت صدفة من مركبات غير عضوية في ظروف أولية للأرض؛ ولكن لم ينجح أبداً أي شخص في تكوين تركيب خلوي واحد من مواد بسيطة ولا حتى في أكثر المختبرات تطوراً، والخلية أكثر تعقيدا وروعة في أداء وظائف الحياة مما كان يظن دارون في القرن التاسع عشر؛ فهي تحتوي على محطات لتوليد الطاقة، ومصانعَ مدهشة لإنتاج الإنزيمات وأنواع من الهرمون عديدة كلها لازمة للحياة ولا يوجد في الخلية وظيفة تؤدى عبثا بلا فائدة، وفيها نظم نقلٍ وخطوطَ أنابيب معقدة لنقل المواد الخام والمنتجات ومختبرات بارعة ومحطات تكرير تحلل المواد الخام إلى أجزائها الأبسط، وبروتينات حراسة متخصصة تغلف أغشية الخلية لمراقبة المواد الداخلة والخارجة، وبرنامج بالمعلومات الضرورية لتنسيق الأعمال في وقتها، فهل يُبني هذا كله تلقائيا صدفة!.

وفي عام ١٨٥٩ نشر تشارلز دارون Charles Darwin كتابه: أصل الأنواع Origin of Species؛ وفيه أن الإنسان ثمرة سلسلة طويلة من التطور Evolution بدأت بنشأة كائنات بسيطة في البحار الأولية، وفي عام ١٨٧١ نشر كتابه الثاني مؤكدًا أن الإنسان مُنحدر من أسلاف حيوانية أسبق بعنوان يعني أن الإنسان سلالة أسلاف أقدم The Descent of Man، وافترض أيضا وجود تراكيب كان لها وظيفة في الأسلاف Ancestors؛ ولم تُعرف وظيفتها في الإنسان، فسُمُّوا بالأعضاء الضامرة Vestigial Organs أو الأثرية Rudimentary؛ منها الزائدة الدودية Appendix والعصعص Coccyx والغدة الصنوبرية Pineal gland، فلم يكن معروفًا بعد أن الزائدة الدودية عضو في الجهاز المناعي أول الأمعاء الغليظة يحميها من العدوى؛ ومثلها اللوزتين Tonsils أول الزور، وأن العصعص يقوم بتثبيت بعض عضلات المقعدة، ولم يكن معروفًا كذلك بعد أن الغدة الصنوبرية هي إحدى الغدد الصمَّاء التي تفرز هرمون الميلاتونين Melatonin استجابة للضوء فتنظم الإيقاعات الحيوية بالجسم كدورات النوم والاستيقاظ، وتنبأ دارون بالمثل بوجود أعضاء ناشئة Nascent organs بهيئة بسيطة في الأحياء الأدنى في سلم التطور اكتملت في الإنسان الأرقى، ولكن لم يثبت لها وجود؛ كما لم تثبت نبوءته في وجود بقايا متحجرة Fossilsلحيوانات قد اندثرت تمثل الحلقات الوسيطة في سلم التطور، وفي عام ١٨٩٥ بلغ ما أحصاه عالم التشريح الألماني روبرت ويدرشيم Robert Weidersheim ١٨٦ عضوا أثريا، واليوم قد استنفذت كل لائحة الأعضاء الأثرية المُفترضة وعرفت وظيفة كل تركيب وفقدت الداروينية ركائزها الأساسية، فمن المخجل حاليا الإدعاء بأن الغدة الصعترية Thymus gland زائدة ضامرة بلا وظيفة، والمعلوم حاليا أنها العضو الأهم في جهاز المناعة وإنضاج الخلايا اللمفاوية Lymphocytes، وهي تقع أسفل الرقبة وتقوم بنشاطها في الحماية من العدوى بالكائنات الدقيقة الدخيلة خاصة أثناء الطفولة؛ وإذا أزيلت مُبكرا فشل تطور جهاز المناعة، ولم يعد مستندًا القول بتنامي المخ في الحجم دليلا على التطور؛ وإلا كان إنسان نياندرثال Neanderthal الجد المُفترض للإنسان الحالي أكثر تطورًا لأن مخه أكبر، وكان الكلب أكثر تطورًا من الإنسان لأن كفاءة جهاز الشم عنده أفضل، وبالمثل لم تعد فرضية البقايا الضامرة مستندًا؛ كعضلات الأذن وهي بطانة واقية، وضرس العقل وهو للطحن، وصمامات الأوردة وهي تمنع رجوع الدم، ناهيك عن الغدة الدرقية Thyroid gland والنخاميةPituitary gland، وهكذا انحسرت لائحة الأعضاء الأثرية المزعومة في الإنسان من ١٨٦ تركيبا عام ١٨٩٥ حتى تلاشت تماما، فكل التراكيب التشريحية في الحيوان والإنسان تؤدي وظيفة ملائمة ومن الغفلة عن الحقيقة الإدعاء بوجود عضو بلا وظيفة.

جاء في فتاوى الأزهر (ج٧ص٣٩٩): "ورد أن الله خلق الإنسان نوعًا مستقلا لا بطريق النشوء والاشتقاق من نوع آخر؛ وإن كان كلا الأمرين من الجائز العقلي الذي يدخل تحت قدرة الله تعالى، قال بعض العلماء :إنه لا يوجد فى النصوص أن الله خلق الإنسان الأول من تراب دفعةً واحدةً أو بتكوين متمهل على انفراد، فسبيل ذلك التوقُّف وعدم الجزم بأحد الأمرين حتى يقوم الدليل القاطع عليه فنعتقده؛ ما دام أن الذي فعل ذلك كله هو الله تعالى، ثم إن النواميس المذكورة في مذهب داروين ظواهر واضحة في الكون، ولا حرج في اعتقادها؛ ما دام أن الله هو الذي خلقها ووجهها، فهي لا تُحقق وجودها من نفسها :﴿ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لآ إِلَـٰهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ﴾ الأنعام:١٠٢، فهو خالق المادة والنواميس"، ولكن هناك شرط أكيد في كل الأحوال (ج٧ ص٤١٢): "قولهم أن المخلوقات خُلقت عشوائيًّا بغير تدبير سابق وعلم محكم يرده قول الله سبحانه :﴿إِنَّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر:٤٩.

كيف يمكن للانتخاب العشوائي أو الطفرات أن تُبدع بالمصادفة بلا سبق تقدير رشيد كائنات تتخفى من الأعداء بدهاء بهيئة ولون ورقة شجر أو زهرة أو غصن، ولم تهمل حتى العروق واللطع والتجاعيد!.

وكيف تفسر وجود النباتات آكلة اللحوم Meat-eating (Carnivorous) plants، فأي ذكاء لها حتى تبلغ بها الحيلة صنع مصائد للحشرات من ورقة أو زهرة وتجذب الفرائس وتصيدها وتذيبها بعصارات سابقة التجهيز لتسد حاجتها للبروتين بلا علم منها بالكيمياء العضوية ولا إدراك بوجود الحشرات؛ فمن أمدَّها بالحيل البارعة!، ولم يكن الخفاش Bat على علم بفيزياء الرادار حتى يصنع لنفسه جهازا لإرسال واستقبال الموجات فوق الصوتية يُعينه على الطيران في أحلك الليالي وصيد فرائسه ويُوَرِّث حيلته للأجيال؛ فمن وهبه تلك البراعة! وزهرة تتأنق لفراشة وتتزيَّن وتتعطَّر وتتمايل في دلال تدعوها لارتشاف حلو الرحيق؛ وما هي إلا حيلة لنقل حبوب اللقاح وحفظ النوع! وحشرة تخدِّر فريسة وتطمرها مع بيضها حتى تجد اليرقات لاحقًا طعاما طازجًا، فكيف سبقت الحدث! إن التَبَصُّر Prevision والسلوك الذكي Intelligent behaviorوالكائن غافل؛ لا تُفَسِّرُه صدفة وإنما تدبير وتقدير Predestination، والانتخاب الطبيعي Natural selection؛ أي الذي اختارته الطبيعة Nature، تفسير خاطئ أو مغالطة؛ لأن كل حي مؤهل جسديًّا وموجه وظيفيًّا ومقدر سلوكيًّا بما يناسب بيئته ويحفظ وجوده بلا علم منه؛ فكيف تَحِيك الطبيعة علمًا وهي بلا إرادة أو علم على الإطلاق! فهل هي حقًّا مهارة الثوب أم حنكة الحائك!.

كيف يمكن للنبات المُجرد من التمييز أن يبتكر الحيل بغير سابق تقدير ويصنع بدهاء مصائد للحشرات!.

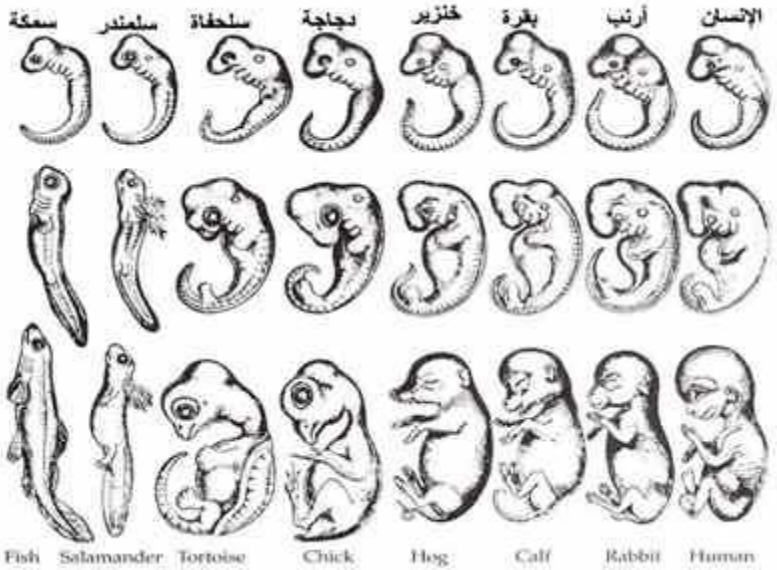

تبلغ وحدة التصميم والتماثل بين الكائنات أقصاها في المراحل الجنينية الأولى.

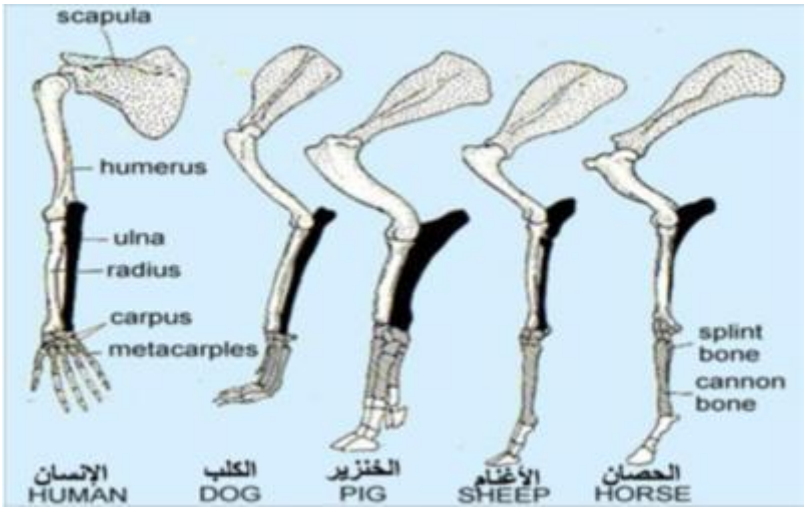

وحدة التصميم رغم تنوع الأحياء شاهد عدل على وحدانية الصانع القدير.

والتَّكَيُّف Adaptation يعني أن كُلّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له؛ فهو مواءمة كل حي لبيئته وتناسب كل تركيب مع وظيفته؛ كتنويع أشكال المناقير والمخالب بما يناسب بيئة التغذي، وكالوسائل الدفاعية في الأسماك البحرية، وتلون الحيوانات بألوان بيئتها تخفيا من الأعداء ومثاله الحرباء، وكوجود حوافر للخيل لتلائم الجري السريع، وخف للجمل ليمنع الغوص في الرمال، وكإحاطة أوراق نباتات الصحراء بطبقة عازلة تحافظ على الماء تجنبا للجفاف، والداروينية محاولة لتفسير الكيفية بتخيل تواجد كم هائل من الأشكال قبل تغير البيئة واستبقاء الانتخاب الطبيعي ما يوائم الظروف الجديدة وبقية الأشكال تبيد، وهو افتراض مطعون فيه، لأن الظروف القديمة لن تبق على أشكال غير ملائمة حتى ينتخب منها الأصلح في الظروف الجديدة، والفوضى Chaos لا تصنع نظامOrder ، والتنويع مع التماثل يعارض الإلحادAtheism ، ولو كانت التغيرات عشوائية كما تفترض الداروينية؛ فلم كانت دائما في اتجاه الأصلح!، وكل كائن بلا استثناء متكيف مع بيئته وموجه لما يحافظ على بقائه؛ مما يقتضي مشيئة الصانع وسبق علمه وقدرته ورعايته للمخلوقات، فللبط غشاء للقدمين ينشأ منذ فقس البيض؛ وليس نتيجة لمحاولة العوم، ويسبق إعداد الضرع أثناء الحمل ليستقبل الوليد عند قدومه، وقبل الشتاء يسقط ورق النبات حفاظا على الغذاء وتكنز أجسام الدببة القطبية الدهون منعا للتجمد، وكل الوجود مرتب في منظومات؛ كما هو جدول العناصر، وهو لا يعني بالضرورة أن العنصر الأعقد تطور من آخر أبسط، وعلى فرض صحة التطور كآلية لتفسير التماثل والتنويع والتدرج فهو التطور المُقَدَّر الرشيد Rational directed evolution ، والقرآن الكريم يكشف عن وجود سجلات للماضي تتطلب البحث ويلح بالسؤال عن كيفية بدء الخلق بلا سابق مثال؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت:٢٠، وقال تعالى :﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور:٣٥، فالقدرة الخلاقة المُبدعة لا يعجزها أن تخلق كل حين أشكالا وتنوعات لا يحصيها الخيال يوحدها التماثل في الإتقان والوحدة في التصميم؛ ولتكن ما تكون الكيفية؛ فالقضية الجوهرية التي غفلت عنها الداروينية هي طلاقة قدرة الصانع مهما كانت آلية تكون الصنعة، قال تعالى :﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس:٨١-٨٢، وقال تعالى :﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران:٤٧، والتنويع والتدرج يمكن تفسيره بخلق كل نوع من الأحياء بانفراد مع وحدة في التصميم؛ ويمكن تفسيره بتطور الأنواع المُقَدَّر الرشيد، وفي الحالتين لابد من خالق عظيم، ولكن التطور الذاتي تخمين وليس علمًا؛ فكل حي مُقَدَّر الكيان ينطق بالإيمان، وزعم الخلق الذاتي انتكاسة نحو الوثنية Paganism؛ والتماثل والوحدة في التصميم Design رغم التنويع شاهد عدل على وحدانية الصانع وقدرته، وكل فطين يردد مع القرآن الكريم :﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه:٥٠.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: قوله تعالى {سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأعْلَى} فيه أربعة أقاويل: أحدها: عظّم ربك الأعلى ، قاله ابن عباس والسدي ، والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمّى..، الثاني: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه؛ ذكره الطبري، الثالث: معناه ارفع صوتك بذكر ربك..، الرابع: صلّ لربك، فعلى هذا في قوله (اسم ربك) ثلاثة أوجه: أحدها: بأمر ربك. الثاني: بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة. الثالث: أن تكون ذاكراً لربك بقلبك في نيتك للصلاة. وروي أن عليّاً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: (سبحان ربي الأعلى) امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، وقيل إنها في قراءة أُبيّ: (سبحان ربي الأعلى) وكان ابن عمر يقرؤها كذلك، {الذي خَلَقَ فَسَوَّى} يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: يعني أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم، الثاني: خلقهم خلقاً كاملاً وسوّى لكل جارحة مثلاً، الثالث: خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه، قال الضحاك: خلق آدم فَسوّى خلقه، ويحتمل رابعاً: خلق في أصلاب الرجال وسوّى في أرحام الأمهات، ويحتمل خامساً: خلق الأجساد فسوّى الأفهام، {والذي قَدَّرَ فَهَدَى} فيه ثلاثة تأويلات؛ أحدها: قدّر الشقاوة والسعادة وهداه للرشد والضلالة؛ قاله مجاهد، الثاني: قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً ولمراعيهم إن كانوا وحشاً، الثالث: قدرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى؛ قاله السدي، ويحتمل رابعاً: قدر خلقهم في الأرحام وهداهم الخروج للتمام، ويحتمل خامساً: خلقهم للجزاء وهداهم للعمل"[٣].

[٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٢٥١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Biology

علوم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Rational inherited Behavior

السلوك الرشيد الموروث

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٨٧الأعلى:١-٥.**
- **﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٢طه:٥٠.**
- **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٢الطور:٣٥.**
- **﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِيءُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمّ اللّهُ يُنشِىءُ النّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩العنكبوت١٩و٢٠.**
- **﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْءٍ﴾ ٦الأنعام:١٠٢.**
- **﴿إِنّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٤القمر:٤٩.**
- **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣٦يس:٨١-٨٢.**
- **﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣آل عمران:٤٧.**